MENA RESEARCH CENTER

مركز أبحاث ودراسات مينا

من هم الدروز؟ وما علاقتهم بالتصوف؟ (١ ـ ٢) دراسة مقارنة

بقلم: صفوان قسام

حقوق النشر والطبع ورقياً والكترونياً محفوظة لصالح مركز أبحاث ودراسات مينا

يهدف البحث إلى عقد مقارنةٍ اجتماعيةٍ ثقافيةٍ بين المذهب الدرزي والطرق الصوفية؛ وأظهر مسار البحث تعقيداتٍ أبعد من هذا العنوان. فلم تكن الصوفية واحدةً، ولم تكن الطرق في التفاصيل متشابهةً، حتى أن تاريخها وجمهورها ليس واحداً، كما أن قربها ودورها في السياسية لم يكن واحداً لذا جرى وضع معايير يتم على أساسها انتقاء الطرق التي سعت هذه الدراسة إلى مقارنتها. وكانت هذه الطرق تمثل مواقفاً سياسيةً واجتماعيةً، كالطرق التي تعارض الدولة أو التي تؤيدها أو التي لا تتدخل بها ولها أثرٌ اجتماعيٌ وثقافيٌ على المجتمعات؛ لذا كانت الطرق الثلاثة: البكتاشية، النقشبندية، والمولوية هي الطرق التي تم التطرق لها في البحث إلى جانب الدرزية في طبيعة الحال.

قد يظن البعض بأن الدرزية تعتبر مذهباً مستقلاً في الإسلام أو طائفةً، إلا أنه وبعد دراسة الطرق الصوفية بدى أن الدرزية هي أقرب منها إلى الطرق الصوفية من أن تكون مذهباً خالصاً. كذلك من الطبيعي أن يكون هناك تقارباً بين الصوفية والدرزية بحكم أن المنطقة الثقافية كانت تتمازج دينياً وثقافياً وسياسياً لحقبٍ طويلةٍ، لكن الاختلاف في الفرض الذي يقول أن الصوفية تتشابه في بعض مناحيها مع الدرزية ليس بسبب التأثير المباشر بين الاثنين؛ إنما لأن الجذر الذي انطلقا منه كان واحداً. وكما يذكر البحث فإن باقي العناصر المتشابهة كانت غالباً بحكم الخليط الثقافي بين الجماعات الدينية والعرقية والحضارية والعسكرية التي مرت وتفاعلت على أرض البقاع الجغرافية في منطقتنا.

اللافت أن غالب الكتابات حول هذه الطرق والمذاهب كانت تأخذ طابع الحكم القيمي عليها؛ من باب التقييم الديني أو الأثر السياسي والعسكري، ويبقى الجانب الاجتماعي والثقافي خطاً ضعيفاً موازياً لهذا العرض. وبالتالي كانت الصعوبة في الوصول إلى دراساتٍ سوسيولوجيةٍ خالصةٍ أمراً لا يخلوا من الصعوبة، أيضا الجانب الآخر من الصعوبات تحدد في أن الدراسات الموضوعية كانت غالباً أنثروبولوجية، ويلاحظ أنها كانت غربية عموماً.

أولاً: مشكلة البحث وأهميته:

تُشَبّه بعض الدراسات الدينية والاجتماعية الطائفة الدرزية بالمنهج الديني الذي تتبعه الصوفية! وفي دراسات أخرى، تُعتبر الصوفية جوهر الطائفة الدرزية، لكن دراساتٌ ثانيةٌ تفصل بينهما على اعتبار الدرزية مستقلة ومذهباً قائماً بذاته. ولعل دراسة التقارب بين الصوفية من الناحية العقائدية والاجتماعية والثقافية، والمقارنة بين النشوء والتطور التاريخي لكليهما، وعقائدهما ومصادرهما، ومن ثم المقارنة بين البنية الاجتماعية والثقافية، وتأثرها وتأثيرها بالسياسة. ومحاولة البحث عن أي علاقةٍ ثقافيةٍ واجتماعيةٍ ذات أثر بينهما؛ قد يوصل إلى إجابةٍ عن هذا السؤال:

هل تعتبر الدرزية مذهباً إسلامياً مستقلاً؟ أم أنها تشترك مع الصوفية في بعض النواحي فقط؟ أم يمكن اعتبارها طريقةً صوفيةً؟

ويمكن تبرير سبب اعتماد طرق الصوفية التركية تحديداً "البكتاشية والمولوية والنقشبندية" من باب افتراض وجود تأثيرٍ مجهول الاتجاه بين الصوفية التركية والدرزية، يحتاج للبحث فيه، ويستند هذا الافتراض على مجموعة من المعطيات؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر إن كلمة "درزي" تنسب إلى أمير تركي وهو أحد دعاة المذهب الدرزي، واسمه "نشتكين الدرزي" والكلمة بأساسها "الترزي" والتي تعني بالتركية "الخياط" [1] ومع الوقت صار الحرف "t"ينطق بالحرف "d"بالعربية! فتحول اسمه إلى "درزي" بدلًا من "ترزي" وإليه تنسب التسمية [2].

لا يتوقف الأمر على التسمية فقط؛ بل أيضا اللباس والمظهر العام كإطالة الشارب على خلاف مذهب السنة والشيعة! وحتى البنية والعلاقات الاجتماعية كمكانة المرأة.. حتى أن بعض التسميات لا تفهم بالعربية لكنها بالتركية ذات معنى، فمثلاً: عندما يصل الشيخ الدرزي إلى مرتبةٍ دينيةٍ واجتماعيةٍ عليه أن يلبس عمامةً تشبه العمامة الصوفية! لها اسم "لفة مكولسة" تكتب بالتركية هكذا" "Lafi mkölesiوهي

---

١. تعتبر الوثائق والكتب الدينية الدرزية وثائقٌ تاريخيةٌ على فترة الدعوة الدرزية وعهد الخليفة الفاطمي السادس"الحاكم بأمر الله" هذه الوثائق تذكر هذه التفاصيل حول نشتكين الدرزي، إلا ان موسوعة "ويكيبديا" تعتبر أن كلمة "درزي" كلمة "فارسية"، وأن "نشتكين الدرزي" أو في بعض المراجع "أنوشتاكين" هو فارسي، وحسب ويكيبديا تعني كلمة "درزي" الخياط بالفارسية!، رغم أن كلمة خياط بالفارسية لا تعني درزي أبدا، بل هي نفس اللفظ العربي. بينما كلمة "ترزي" في التركية تعني الخياط؛ وبالتالي قد يكون الاقرب هو اللفظ التركي.

٢. أوبنهايم، ماكس فان، الدروز، ترجمة: محمود كبيبو، ط٢، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، ٢٠٠٩، ص-ص ٢٢- ٥٠.

كلمة غير مفهومة بالكامل في اللغة العربية ولا يُعرف أصلها! لكنها في التركية يمكن أن تعني عند ضم الحرف الأول من الكلمة الثانية إلى أخر الكلمة الأولى "Lafım kölesi"وهنا تعني "عبد الكلمة أو الحكمة"! والحكمة هي جوهر الصوفية وجوهر الدرزية. حتى أن الكتب الدينية الدرزية تسمى "كتب الحكمة" التي تحتوي على رسائل في "الحكمة". أما من حيث الجوهر كذلك توجد بعض الأمثلة، فمثلاً: الضمير "هو" يعني "اللّه" في كلا الطائفتين. من هذه الأمثلة وغيرها كان منطلق اختيار الصوفية التركية عوضاً عن باقي الطرق الصوفية.

يضاف إلى هذه المقدمات أن الصوفية دخلت إلى تركيا من خلال المنطقة العربية والفارسية، لكنها أخذت طابعاً خاصاً وسمةً خاصةً، ولذلك تميزت هذه الصوفية عن غيرها واشتهرت، وبالتالي قد تنير هذه الدراسة إلى بعض السمات الاجتماعية والثقافية التي تميّز الصوفية التركية.

ثانيا: أهداف البحث وتساؤلاته:

يحاول هذا البحث إيجاد جوابٍ عن السؤال الرئيسي:

هل يوجد أي تأثرٍ اجتماعيٍ وثقافيٍ بين المذهب الدرزي وطرق التصوف؟

وللإجابة على هذا السؤال تهدف هذه الدراسة إلى: المقارنة بين النشوء والتطور التاريخي لكل من الدرزية والصوفية، ومقارنة عقائدهما ومصادر هذه العقائد، ومحاولة المقارنة بين بنيتيهما الاجتماعية والثقافية، وتأثرهما وتأثيرهما بالسياسة، وبالتالي الإضاءة على سمات الصوفية؛ ومحاولة البحث عن أي علاقة ثقافية واجتماعية ذات أثر بينهما. هذا ما سيكون من شأنه الإجابة أيضاً على السؤال:

هل تعتبر الدرزية مذهباً إسلامياً مستقلاً؟ أم أنها تشترك مع الصوفية في بعض النواحي فقط؟ أم يمكن اعتبارها طريقةً صوفيةً؟

ثالثاً: منهجية البحث:

تستند الدراسة في المقام الأول على البحوث والكتب والمقالات العلمية؛ وستكون دراسةً مكتبيةً. تتمثل الطريقة في الإجابة على أسئلة البحث من خلال تحليل المحتوى ومقارنة المستندات الموجودة بثلاث لغاتٍ عربيةٍ وتركيةٍ وإنجليزيةٍ لتحقيق أهداف البحث.

رابعاً: المفاهيم:

الدرزية:

عرقيةٌ دينيةٌ عربيةٌ تدين بمذهب "التوحيد" ذو التعاليم الباطنية؛ وتعود أصوله إلى الإسماعيلية إحدى المذاهب الإسلامية. يطلقون على أنفسهم اسم أهل "التوحيد أو الموحدون"، أما اسم "الدروز" فهو يعود إلى الداعية "محمد بن اسماعيل الدرزي" المعروف باسم "نشتكين الدرزي" رغم أنهم يرفضوا هذا التسمية.

يؤمن الدروز الموحدون بالشهادتين، أن لا إله إلا اللّه وأن مُحمّدًا رسول اللّه، وبالقرآن والقضاء والقدر واليوم الآخر، والمذهب "الدرزي أو التوحيدي" قائمٌ على تعاليم "حمزة بن علي بن أحمد" إمام الدعوة في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر اللّه، والفلاسفة اليونانيين مثل أفلاطون وأرسطو وفيثاغورث. "رسائل الحكمة" هي النص الأساسي لإيمان ومعتقدات الموحدين الدروز. ويستند مذهب "التوحيد أو الدرزية" على عناصر من الإسماعيلية، والغنوصية[٣]. فضلاً عن فلسفاتٍ ومعتقداتٍ أخرى، مما أدّى إلى ابتكار لاهوت عُرف بالسريَّة والتفسير الباطني للكتب الدينية وتسليط الضوء على دور العقل والصدق[٤].

الصوفية:

منذ نشأة الصوفية إلى يومنا هذا حدث في التصوف تشعباتٍ كثيرةٍ وانحرافاتٍ عن منهج الأوائل وكثرت

---

٣. الغنوصية أو "العرفانية أو المعرفية" (بالإنجليزية: Gnosticism) حسب "ويكيبيديا" تطلق على مجموعة من أفكار ومعارف من الديانات القديمة التي انبعثت من المجتمعات اليهودية في القرنين الأول والثاني الميلاديين. بحسب تفسيرهم للتوراة، اعتبر الغنوصيون (أو العرفانيون) أن الكون المادي هو انبثاق من الرب الأعلى الذي وضع الشعلة الإلهية في جوهر الجسد البشري. ويمكن تحرير أو إطلاق هذه الشعلة عن طريق معرفتها.

٤. ويكيبيديا، موحدون دروز، https://ar.wikipedia.org/، ٣/ ١٢/ ٢٠٢٠.

أقوالهم في حقيقة التصوف إلى ما يزيد على ألف قولٍ، وكل قول من هذه الأقوال يشير إلى أهم جانب في التصوف عند قائله سواء بالنظر إلى الطريقة أو الخَلّق أو الغاية، أو بالنظر إلى حاجة الصوفي أو من حوله وبالنظر إلى حاله والخطأ الذي يريد أن يقوّمه[٥]. والذين تحدثوا عن التصوف والصوفية اختلفوا في أصل الكلمة واشتقاقها وكذلك اختلفوا في نسبة الصوفية اختلافاً كبيراً، وإن المؤيدين و المعارضين للتصوف لم يتفقوا على نسبةٍ للتصوف، كما أن الصوفيين أنفسهم لم يتفقوا على شيءٍ من ذلك[٦]. ورغم كثرة التعاريف لكنها كلها لا تعني تعاريف حقيقيةً! بل شرحٌ عن ماهية الصوفية؛ وبعد أن جُمع ٦٥ تعريفاً لها من أئمتها فقط في القرنين الثالث والرابع الهجريين، تبين أنها تعني الفناء باللّه بعد اعتقاد فناء الجسد[٧].

لكن الرأيين الذين يمكن أن يكونا الأقرب لاشتقاق التسمية هما:

– من العربية: الصوفية نسبة إلى "الصوف"، حيث كان المتصوفة يلبسون الصوف، فالصوف لباس الأنبياء، ولبس الصوف هو أقرب إلى التواضع والزهد بنظرهم[٨].

– من اليونانية: نسبة إلى "صوفيا" الكلمة اليونانية ومعناها "الحكمة"، والقائلين بذلك حجتهم أن الصوفيون كانوا طالبين للحكمة حريصين عليها، فأُطلقت عليهم الكلمة، وعُربت أو حُرفت فأصبحت "صوفية" و "صوفي". فالكثير من الباحثين اعتبروا أن القرآن لا يمكن أن يكون مسبباً في حركة التصوف، بل من الممكن أن تكون قد تأثرت بالنساك المسيحيين واليهود والزردشتية الفارسية، وحتى الفلسفة اليونانية[٩]. وأكد "البيروني" هذه النسبة لأن فكرة "القول بوحدة الوجود" ظهرت فيهم، وردد هذا القول "زكي مبارك" في كتابه "التصوف الإسلامي" وأكد "محمود عبد الرؤوف القاسم" على هذه النسبة بالنظر إلى المعتقدات الفلسفية التي تعتنقها الصوفية. ولأنها ظهرت في زمن الترجمة في نهاية القرن الثاني والقرن الثالث الهجريين. ونشأت في العراق بلد الترجمة وفي زمنها انتشرت الكلمات اليونانية

---

٥. الشوبكي، محمود يوسف، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد ١٠، العدد ٢، ٢٠٠٢، ص ١٣.

٦. المرجع السابق، ص ٦.

٧. المعبدي، حنان عطية اللّه، التصوف وآثاره في تركيا ابان العصر العثماني: عرض ونقد، أطروحة للحصول على درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة، إشراف: أ. عبد اللّه بن عمر الدميجي، جامعة أم القرى، السعودية، ٢٠٠٨، ص ١٩.

٨. مرجع سابق، الشوبكي، ٢٠٠٢، ص–ص ١٠–١١.

٩. فتاح، د.عرفان عبد الحميد، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، بيروت، لبنان، بيروت، ١٩٩٣، ص–ص ٤١–٤٣.

واستعملت في مختلف الفنون[١٠].

الصوفية التركية:

وهي الطرق الصوفية التي أنشأها الشيوخ الأتراك، أو التي انتشرت بينهم، حيث كان للطرق الصوفية دور بارز في إدارة شؤون الدولة وتأسيسها فكان شيوخ الطرق يعملون على نشر الإسلام وإعداد المسلمين للجهاد. وقد تقلد الصوفية مناصب كبيرةً في الدولة، ومن أشهر الطرق التي كان لها دور بارز في الدولة العثمانية الطريقة النقشبندية والرفاعية والمولوية والبكتاشية. وكان السلاطين العثمانيون مرتبطين بشيوخ الصوفية وبالطرق والتكايا، وكان لأهل التصوف دورهم في الدفاع عن الإسلام وكان لهم نفوذ على الهيئة الحاكمة في الدولة ورقابة سياساتها، وكان رجال التصوف يشتركون مع الجيش العثماني في فتوحاته وساهموا في تحقيق العديد من الانتصارات[١١].

ويعتبر التصوف في الدولة العثمانية امتداداً طبيعياً للتصوف الذي انتشر في آسيا الوسطى بين القبائل التركية، باعتبارها المنشأ الأصلي للعثمانيين؛ كما أن التصوف قد انتشر أيضاً في دولة سلاجقة الروم التي ورث العثمانيون أرضها، حيث ورثوا عنهم أيضا الطرق الصوفية التي تأسست فعلياً في الأناضول في عهد السلاجقة، وتطورت في العهد العثماني[١٢]. وفي الوقت الذي انتشرت في مدن الأناضول أسماءٌ لامعةٌ للصوفيين مثل "ابن عربي" و "حسن البلخي"، كانت جماعاتٌ من "الدراويش" أو ما يعرفون باسم "الأبدال" ينتشرون في أطراف المدن وعلى الحدود، وهم جماعاتٌ "تركمانية" تعتنق الإسلام ممزوجاً "بالشامانية" والتقاليد العشائرية؛ ومن تقاليدهم "حلق اللحى واطالة الشارب[١٣]"، وعدم الاهتمام بالصلاة والصيام.

ويمكن فرز الطرق الصوفية التركية إلى قسمين:

الأول: وهو القسم المعروف والعلني كالنقشبندية والمولوية والتي تتمركز في المدن ويتبعها كبار الدولة والمجتمع.

---

١٠. القاسم، محمود عبد الرؤوف، الكشف عن حقيقة التصوف لأول مرة في التاريخ، دار الصحابة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، ص-ص ٧٣٩-٧٤٩.

١١. ويكيبيديا، تاريخ التصوف، https://ar.wikipedia.org/، ٢٧/ ١١/ ٢٠٢٠.

١٢. مرجع سابق، المعبدي، ٢٠٠٨، ص ٥٦.

١٣. وهو تقليد يشتركون فيه مع الدروز، ولا يشابههم به أحد من باقي الملل الإسلامية.

الثاني: وهو القسم غير المعروف والتي تعرف بالسرية والباطنية كالأبدال والحمزوية، ولم تكن تتبع الدولة بل تأخذ شكل المعارض لها[١٤].

ولكثرة الطرق الصوفية التي انتشرت في تركيا قبل وخلال الدولة العثمانية وتشعبها، جرى اعتماد ثلاث طرقٍ صوفيةٍ هي: البكتاشية، النقشبندية، المولوية. والمعيار للاختيار هو دورها الهام في الحياة السياسية والاجتماعية في المنطقة، قربها العقيدي من الدرزية.

خامساً: نشوء وتاريخ الدرزية والصوفية/التركية:

ا. الدرزية:

يُعتبر الدروز "أقلية عرقية" بالإضافة إلى كونهم جماعة دينية؛ وبسبب سرية العقديّة الدرزية، شابَ تاريخها نوعٌ من الغموض، نتيجةً لعدم تنبه الكثير من المؤرخين إليهم، وبالتالي ألصقت بهم الكثير من التهم من قبل خصومهم وجيرانهم، حول تاريخهم ومعتقداتهم. وكانت أهم المصادر الأوربية التي تحدثت عنهم هي: الباحث الفرنسي سلفستر دي سالي[١٥]، الضابط الإنكليزي تشرتشل[١٦]، الباحث الألماني بيترمان[١٧ ١٨]. حيث تختلف الآراء في أصل الدروز العرقي، ففي الحين الذي يقول فيه البعض أنهم عرب أقحاح لا يوجد أصح من عروبتهم، يجادل البعض أنهم من أصولٍ غير عربيةٍ، وقد تكون من الشعوب في شرق ووسط آسيا، بل وحتى من البقايا الصليبية، ويذهب آخرون للقول إنهم السبط الضائع من الإسرائيليين الذي لم يلحقوا بالنبي موسى. لكن رأي الكتب الدينية الدرزية تعتبر أنهم أقدم من ذلك كله؛ وتعود فترة وجودهم إلى ما قبل الإسلام، حيث أنهم انتقلوا من دينٍ إلى دينٍ متتبعين تبلور ونضج فكرة "توحيد اللّه" لدى الديانات، حتى وصلوا إلى دين التوحيد الذي تبلور فترة الحاكم بأمر اللّه[١٩].

---

١٤. مرجع سابق، المعبدي، ٢٠٠٨، ص-ص ٦٠-٦١.

١٥. سلفستر دي سالي، عرض للمذهب الدرزي، باريس، ١٨٣٨

١٦. تشرتشل، جبل لبنان: إقامة لمدة عشر سنوات، لندن، ١٩٥٣

١٧. بيترمان، رحلات في المشرق، لايبزيغ، ١٨٦٠.

١٨. مرجع سابق، أوبنهايم، ٢٠٠٩، ص ١٢.

١٩. AL-SARİ, Prof.Dr. Adel Bashir, DÜRZİ TEKTANRICILARI VE KİMLİK SORUNU, Osoul Eddin Dergisi, http://www.asmarya.edu.ly/, 1/10/2017, P-p 248-248.

عند البحث في ارتباط الدروز ونشوئهم، كتاريخٍ وعقيدةٍ، نجدنا نعود إلى فترة وفاة رسول الإسلام (ص) حيث لم يعين خلفاً له، وهنا صارع "علي" في أحقيته بالخلافة، وعند استلامه، نشأ صراع وانقسم المسلمون إلى "خوارج" و "شيعة علي"، وتمحور الصراع حول أحقية أولاد علي بالخلافة وهم أحفاد الرسول، وانتزعت الخلافة من قبل "معاوية"، وبعدها أقدم ابنه "يزيد" على قتل آل البيت؛ ثم انتزع "العباسيون" الخلافة من "الأمويين"، رغم أنهم ليسوا من "آل البيت" لكنهم أقرب للرسول من الأمويين، فهم ينتسبون إلى "عباس" عم الرسول، ومنه أخذوا اسمهم، العباسيون. ونشأ صراع بين العباسيين وشيعة علي انتهى بتشتيت الشيعة؛ وظهرت النزعة القومية "الفارسية" في عهد الخلافة العباسية، وانعكست أفكار الديانات القومية الفارسية في نظام الحكم والدين، وصار لها أتباع ومؤيدين، فما كان من الخلافة العباسية إلا أن حاربتها، وبعد حروبٍ طاحنةٍ حولت هذه الحروب الحركة "أي النزعة القومية الفارسية" إلى حركة سرية، ومن هذه الأفكار فكرة ظهور "المهدي المنتظر" المخلص في أخر الزمن، هذه الفكرة شقت أتباع علي بين مؤمن بأن "الإمام السابع واسمه اسماعيل" هو المهدي المنتظر، ومنه أخذوا اسمهم "الإسماعيلية"؛ ومؤمن بأن المهدي المنظر هو "الإمام الثاني عشر واسمه المحمد"، هو الإمام المنتظر، واخذوا اسم "الاثني عشرية".

وعندما لم تستطع هذه الحركات تغير الوضع الجائر للمجتمع لجأت إلى فكرة أن المهدي يبقى متخفياً بين الناس حتى يحين موعد الظهور فيظهر ويقيم العدل والحق. وتبنت معظم الأديان التي نشأت على أرض فارس هذا المذهب، ومن هنا انتشرت هذه الفكرة إلى "العراق وسورية والجزيرة العربية"، حيث ينسب أمر نشوء وانتشار الإسماعيلية إلى "عبد اللّه بن ميمون" الفارسي. وكانت الإسماعيلية في تلك الفترة نظاما ذو قدرة على استقطاب الناس، وسلب إرادة الأتباع وتحويلهم إلى أدوات في يد قائدهم، وخلق قتلةٍ وإقامة عروشٍ وإسقاط ممالك.. ولما لاحق العباسيون "بن ميمون" هرب إلى "السلمية" في سورية، ومن هناك بدأ في الادعاء أنه "معاون المهدي المنتظر"، وبالتالي سيترتب على أتباعه الخضوع التام له وفق نظامٍ تثقيفي سياسيٍ اجتماعي دينيٍ فكريٍ عسكريٍ سريٍ. وبعد أن قويت شوكتهم، بدأت هذه الدعوة في نسب صفات آل البيت إلى ابن ميمون من خلال الانتساب إلى النبي كأقارب له، من طرف أخ علي ابن أبي طالب واسمه "عقيل". في تلك الفترة ظهرت فرقة "القرامطة" والتي هي بالأساس نشأت في أحضان الإسماعيلية، وانتسب إليها الكثير من أتباع علي ومن أقرباءه في الجزيرة العربية؛ بينما كانت رؤية

أسرة المعلم الأكبر "ابن ميمون" أبعد من ذلك، حيث أعدّوا شابا منذ طفولته ليكون المعلم الأكبر واسمه "سعيد"، ونجح هذا الشاب في الذهاب إلى "القيروان" في "تونس"، وأسس إمارةً له هناك وغير اسمه إلى "عُبيد اللّه المهدي"، ونسب عائلته مباشرةً إلى "فاطمة" ابنة الرسول محمد، وأسمو أنفسهم "الفاطميين" نسبة إلى ادعائهم بالانتساب إلى فاطمة، واستطاعوا الاستيلاء على "مصر وعلى الشام[٢٠]"، وأسسوا الدولة "الفاطمية"، كان سادس خلفائها هو الحاكم بأمر اللّه، الذي بدأ الدعاة في عهده بالدعوة في جوامع القاهرة على العلن إلى الدعوة الإسماعيلية، وفي يوم من الأيام عام ١٠١٧ وقف داعية "تركي" جاء من فارس ودعا إلى النظرية القديمة "بحلول اللّه" في الخليفة "الحاكم بأمر اللّه"، وكان اسمه "تشتكين الدرزي"، ولكنه بذلك تسبب بفتنةٍ مما اضطره إلى الهروب[٢١] إلى بلاد الشام وتحديدا إلى جبال لبنان "وادي التيم" [٢٢]. وبعد عامين ظهر داعية اسماعيلي فارسي أخر دعا إلى ذات الفكرة، وكان اسمه "حمزة بن علي الزوزني الخرساني"، واختار أربعة مساعدين له[٢٣]، وانتهت الدعوة بعد "غيبة" الحاكم بأمر اللّه الغريبة[٢٤] ١٠٢١، وأُغلقت الدعوة وضاع الحلم الإسماعيلي مع غيبة الحاكم. وطُرد أتباع الحاكم بأمر اللّه إلى سورية التي انتشر الفكر الدرزي فيها بسبب نشتكين الدرزي، بين القبائل العربية التي استوطنت جبال لبنان، والتي كانت متأثرةً أساساً بالفكر الاسماعيلي، وعندما وصل حمزة بن علي أقدم على طرد "الدرزي" من الدعوة ومات مقتولاً بعدها[٢٥]. وبقيت الفتن تلاحق الدروز، وقتل منهم الكثير؛ وزاد تعقيد الأمر فتوى "ابن تيمية" بتكفيرهم وحلال قتلهم وسبي نسائهم وأخذ أموالهم، وحتى أنه كفر كل من يشك بكفرهم، واعتبره كافراً معهم! ومنذ ذلك الوقت التزم الدروز التقية والمبالغة في التستر على عقيدتهم[٢٦]. وقد يكون هذا السبب هو الذي دفعهم إلى اعتناق الصوفية في بعض طقوسهم.

يقول البعض إن الدروز فرس أو أكراد أو أتراك، والبعض يقول أنهم بقايا الآراميين القاطنين في بلاد

---

٢٠. سورية ولبنان وفلسطين والأردن حاليا.

٢١. بعض المراجع تقول إن الحاكم بأمر اللّه أعطاه الأموال واللوازم وكلفه ببث الدعوة في بلاد الشام، وبدى الأمر كهروب ليتجنب الفتنة.

٢٢. سيتم الحديث عن هذا المكان وسكانه بالتفصيل.

٢٣. حمزة والمساعدين الأربعة يعتبروا أئمة الدعوة الرسميون، ولهم لقب "الحدود الخمسة"، ولهم أسماء روحية: العقل، النفس، الكلمة، السابق، التالي.

٢٤. بعض المراجع تقول إنه قتل بأمر من أخته "ست المُلك" لكن ولا مرجع ذكر أنه قد عثر على جثته.

٢٥. مرجع سابق، أوبنهايم، ٢٠٠٩، ص–ص ٢٢– ٥٠.

٢٦. مرجع سابق، . AL-SARİ, 1/10/2017, p.p 250.254

الشام، ولكن الأرجح أنهم عربٌ أقحاحٌ، من قبيلة "اللخميين أو التنوخيين" الجنوبية العربية "اليمنية"، هاجرت في القرن الثاني للهجرة، واستقرت نتيجةً للظروف السياسية والعسكرية في لبنان – التي كانت مسيحيةً سريانيةً في تلك الفترة – وفي العصر العباسي كانت مهمة هذه القبيلة السيطرة على أراضي وجبال لبنان وتأمين اتصال "دمشق" بالبحر، ومن المؤكد أن نسبة عائلة "أرسلان" الدرزية في لبنان تعود إلى أميرهم أرسلان الذي أرسله الخليفة "أبو جعفر المنصور" لينتزع جبال لبنان من "المسيحيين" المسيطرين عليه؛ وبعدها تواصل تدفق العائلات التنوخية، والتحق بهم في القرن ١٢ للهجرة عائلة "معن" والتي تنتمي إلى قبيلة "بني ربيعة" من "عرب" شمال "شبه الجزيرة العربية". ولاحقاً انضمت لهم عائلات "تركية" مثل: "آل جنبلاط"، و"كردية" مثل: "آل عماد"، واندمجوا معهم[٢٧].

ففي القرن السابع عشر، كانت هناك عائلةٌ مسلمةٌ تركيةٌ كرديةٌ، تسمى "جنبلاط" مكانها في "كيلّس" بين "غازي عنتاب" و "حلب"، وكان هؤلاء أمراء محليين مستقلين، وقد تولوا حكم حلب في فترة ما، ونشأ خلافٌ بينهم وبين "باشا" حلب، مما دفعهم إلى مغادرة "كليس" إلى جنوب سورية، وهناك لبوا دعوة الأمير "فخر الدين المعني الثاني" صديقهم السابق، للاستقرار في لبنان، وصار الأب "جنبلاط" مستشاراً للأمير فخر الدين، وقاد جيوشه في تمرده ضد "العثمانيين" ١٦٣١، ونتيجة لذلك وللمصاهرة بين أولاد جنبلاط، وأحد أبرز وأهم وأثرى قضاة جبل "الشوف" في لبنان واسمه "قبلان التنوخي" وهو ذو مكانةٍ روحيةٍ عاليةٍ، صارت الجميع يعتبر عائلة "جنبلاط" من العائلات الدرزية، وورثوا عن "آل قبلان" ثروةً طائلةً فبنوا قصر "المختارة" الذي لا يزال لليوم في لبنان مسكناً لعائلة جنبلاط، والتي تلعب دوراً سياسياً وعسكرياً ودينياً واجتماعياً هاماً في لبنان باسم الدروز. بعد ازدياد نفوذ الجنبلاطيين، نشأ حزب مضاد ضم العديد من العائلات الدرزية وسمو أنفسهم "اليزبكيين"؛ ونشأت خلافاتٌ وعداواتٌ وانقساماتٌ بين الحزبين استمرت ليومنا هذا [٢٨]. لكن اليوم خف الانقسام بين اليزبكيين والجنبلاطيين واقتصر على التنافس السياسي، وقد صعد مكان اليزبكيين أمراء "آل أرسلان". وفي الوقت الذي يفتخر الجنبلاطيين بعلاقتهم بالدعم البريطاني لهم، يفتخر آل أرسلان بالدعم التركي لهم. وفي جنوب سورية، بعد انقراض "آل حمدان" وهم من وجهاء الدروز في الجنوب؛ حل مكانهم "آل الأطرش" في الزعامة الاجتماعية منذ

---

٢٧. مرجع سابق، أوبنهايم، ٢٠٠٩، ص–ص ١٣–٢٢.

٢٨. حصلت معارك طاحنة وانقسامات بين الحزبين الذين يمكن تصنيفهما على أساس قبائل الشمال وقبائل الجنوب، مما انتهى بنزوح القبائل الشمالية "بنو ربيعة" إلى جنوب سورية، واستقروا في جبل حوران الذي يعرف باسم "السويداء" وصار يضم رسميا أكبر تجمع للدروز.

النصف الثاني من القرن التاسع عشر[٢٩]. وفي أواخر ذلك القرن منح "الباب العالي" في القسطنطينية "ابراهم الأطرش" قائم مقام جبل "حوران" لقب "الباشا"، ومن وقتها توارثت هذه العائلة هذا اللقب[٣٠]. وهم منتشرون حالياً في بلاد الشام: جبال لبنان، شمال فلسطين وهضبة الجولان المحتلة، منطقة الأزرق في الأردن، وبعض مدن وبلدات ريف دمشق، وفي محافظة السويداء في سورية، وفي قرى جبل باريشيا في ريف إدلب. وحصلت مجازر طائفية بحقهم راح ضحيتها المئات في السنوات الماضية من قبل التنظيمات الإسلامية الإرهابية "داعش والنصرة".

٢. الصوفية:

مهدت حركة الزهد في الإسلام إلى نشوء الصوفية[٣١]. فبعد الرسول كانت أشرف مرتبة هي الصحابة، ثم بعد أن توفوا صارت أشرف المراتب هي لمن كانوا أصحاب الصحابة، فسموا بالتابعين، وبعدهم أتباع التابعين، وفي القرن الثاني للهجرة، اختلف الناس في المراتب فقيل لمن بلغ مبلغاً في العلم والزهد، زاهداً وعابداً، ولما كثر التكني بهذه الصفة وصارت تتبارى كل ملةٍ أن فيها زهاداً وعبادةً، اعتزلت فئةٌ ممن صفت قلوبهم وترفعت عن هذه المغالاة وسموا بالمتصوفين[٣٢].

في أواخر القرن الثاني الهجري بدأ لفظ الصوفية يظهر، وقد تكلم به أكثر من واحدٍ من الأئمة والشيوخ المعروفين، كالإمام "أحمد بن حنبل"، و "أبو سليمان الداراني"، وقيل إن أول من بني دويرة للصوفية هو بعض أصحاب "عبد الواحد بن زيد" وهو من أصحاب "الحسن البصري" وكان ذلك في "البصرة".

وقد مرت الصوفية بأطوارٍ عدةٍ هي:

– طور التسامي عن الحياة المادية: ويمتد خلال فترة الصحابة في القرن الأول للهجرة وبداية القرن الثاني.

– طور التشبه بالسابقين: وهو يمتد منذ منتصف القرن الثاني للهجرة والقرن الثالث.

– طور دخول الألفاظ الموهمة: وامتدت من القرن الثالث وحتى الرابع.

– طور التحرر من التكاليف الشرعية: وقد بدأ في القرن الرابع من أعلامه "الحلاج".

---

٢٩. "آل حمدان" قُتلوا خلال مجزرتين في حوران بعد أن استوطنوا هناك، وكان للعثمانيين يد في قتل بعضهم، ثم وضعوا مكانهم "آل الأطرش" في الزعامة.

٣٠. مرجع سابق، أوبنهايم، ٢٠٠٩، ص – ص ٨١ – ١١٣.

٣١. مرجع سابق، فتاح، ١٩٩٣، ص ٣٩.

٣٢. المرجع السابق، ص–ص ٧٣–٧٤.

– طور تبلور الطرق الصوفية: وذلك في القرن الخامس ومن أعلامه "الجيلاني" صاحب الطريقة "القادرية"، وأبي الحسن الرفاعي صاحب الطريقة "الرفاعية" وغيرهم..[٣٣]

– طور ظهور فرق الدراويش: في القرن السادس والسابع والثامن وبنيت القباب على القبور[٣٤].

– طور ظهور المجذوبين[٣٥]: وظهر في القرن التاسع والعاشر الهجري[٣٦].

سادساً: الصوفية التركية:

يعود دخول الطرق الصوفية إلى حياة الأتراك إلى فترة القرون الوسطى وذلك مع انتشار الإسلام فيما بينهم، وخَدمتهم خلال هذه الفترة في مسائل أساسيةٍ ثلاثٍ؛ الأولى تمثلت في تقوية الروابط الإسلامية الأخوية فيما بينهم من ناحية، كما بينهم وبين بعض الشعوب والقبائل المجاورة من ناحيةٍ أخرى. أما الثانية فكانت زيادة أعداد المسلمين في وسط آسيا والأناضول مع تركيز الطرق الصوفية على الدعوة والتبليغ والتبشير، فزادت من قوة المسلمين الأتراك في حروبهم المتتالية مع الممالك والإمارات غير الإسلامية. في حين تمثلت الثالثة في استخدام "بني عثمان" للطرق الصوفية في استراتيجية الحرب عبر إرسالهم إلى الأماكن النائية لإعمار "التكايا والزوايا" والاستيطان فيها على الحدود الفاصلة بين العثمانيين والإمارات الأخرى، فشكلوا بذلك مواقعاً متقدمةً لرصد تحركات الأعداء وتجنيد البدو الرحل والعشائر لصالح العثمانيين. بالإضافة إلى تحوّل عددٍ من الطرق الصوفية إلى عقائد دينيةٍ خاصةٍ للكثير من ألوية الجيش العثماني ما أعطاها انتماءً موازيا للعقيدة الإسلامية وزاد من صلابتها وتضامن أفرادها وبأسها[٣٧].

ويُعتقد أن المتصوف التركي "أحمد اليسوي" من أوائل المتصوفة الأتراك في عام ١١٧٠، وله تنسب الطريقة "اليسوية" التركية الأولى[٣٨]، وله فضل في انتشار الصوفية بين الأتراك بل حتى في انتشار الإسلام[٣٩]، وله

---

٣٣. مرجع سابق، الشوبكي، ٢٠٠٢، ص-ص ١٩-٢٤.

٣٤. مرجع سابق، المعبدي، ٢٠٠٨، ص٢٣.

٣٥. وهو نمط من المتصوفة ممن كان يفضل يأخذ دور المتسول ذو الإعاقة العقلية وذلك هربا من نقدهم للسلطة أو الفساد..

٣٦. مرجع سابق، الشوبكي، ٢٠٠٢، ص-ص ١٩-٢٤.

٣٧. اينالجيك خ. ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، ص-ص ٢٨١-٢٩٥.

٣٨. مرجع سابق، المعبدي، ٢٠٠٨، ص ٦٤.

ديوان "الحكمة"، وفي خراسان تَعرف إلى الصوفية "القلندرية" واعتنقها [٤٠]، ثم بدأ بنشر طريقته في بلاد "تركستان" وبين القبائل التركية التي رحبت بها [٤١]. ولتعدد وكثرة الطرق الصوفية التركية جرى الاقتصار على ثلاثة طرقٍ من أهمها وأشهرها، بناءً على خدمتها لأهداف البحث، وقربها العقائدي من الدرزية وتأثيرها الاجتماعي في المنطقة الجغرافية لشرق المتوسط والأناضول، وهي:

١. البكتاشية:

نشأت البكتاشية في القرن الثالث عشر الميلادي على يد الحاج "بكتاش ولي" ولذلك أخذت هذا الاسم، وتعني "البكتاشية" "الإنسان الكامل"، ويعتقد أنه من أتراك آسيا الوسطى، ويعود نسبه إلى علي بن أبي طالب [٤٢]. ويعتبر "بالم سلطان" حفيد الابن الروحي للشيخ "بكتاش" المؤسس الثاني للطريقة البكتاشية حيث غير وأرسى قواعدها ونشرها في الأناضول. ومن أبرز أعلامها الشاعر "يونس إمره" الذي تعتبر أشعاره ذات أهمية لدى أتباع هذه الطريقة. وفي عام ١٩٢٥ صدر مرسوم من الحكومة التركية بإلغاء جميع الطرق الصوفية، وإغلاق التكايا، ونقل مقتنياتها إلى المتاحف ومكتباتها إلى المكتبات العامة [٤٣].

٢. المولوية:

طريقةٌ صوفيةٌ واسعة الانتشار أيضاً في تركيا، تنسب إلى "جلال الدين الرومي" في القرن الثالث عشر الميلادي، وهو ابن "الحسن البلخي". فارسي من "بلخ"، وسمي "الرومي" لأنه قضى غالب عمره في بلاد "الروم"، حيث أقام ودُفن في "قونيا". تتلمذ على يد كبار مشايخ الصوفية "كبرهان الدين الترمذي"، و "شمس الدين التبريزي" [٤٤ ٤٥]. ويعتبر ابنه "سلطان أوغلو" المؤسس الفعلي للطريقة المولوية حيث ارسى قواعدها ونظمها حسب عقيدة والده، وكان يرسل خلفاء لها في كل الأصقاع لينشرها [٤٦].

---

٣٩. المرجع السابق، ص ٧٤.

٤٠. المرجع السابق، ص ٤٥.

٤١. المرجع السابق، ص ٦٩.

٤٢. Süreyya, Mehmed, Tarikat-ı Aliyye-i Bektaşiyye, Çevirmen Doç. Dr. Ahmet Gürtaş, DİYANET VAKFI YAYINLARI, 1995, P 17.

٤٣. مرجع سابق، المعبدي، ٢٠٠٨، ص-ص ٧٨-٨٣.

٤٤. توجد أقوال متضاربة حول أن شمس الدين التبريزي هو خليفة "الحسن الصباح" إمام الإسماعيلية، وقد تنكر بهيئة صوفية بعد أن استولى المغول على معقلهم "ألموت" حتى لا يلاحقه المتربصون بهم.

٤٥. مرجع سابق، المعبدي، ٢٠٠٨، ص-ص ١٢٢-١٢٤.

٤٦. المرجع السابق، ص ١٣٤.

٣. النقشبندية:

مؤسسها "محمد بن بهاء الدين البخاري"، والنقشبندية تعني بالتركية القديمة "الرسام والنَّقاش" والقصد هنا نقش محبة اللّه في قلوب أتباع هذه الطريقة. وقد نشأت في "بخارى" في فارس، في القرن الرابع عشر الميلادي، وانتشرت بعد وفاة بهاء الدين، ودخلت "الهند" في القرن السادس عشر، ودخلت بلاد الشام والعراق في القرن التاسع عشر، ومصر في القرن العشرين. وقد انتشرت في الدولة العثمانية على يد الشيخ "خالد البغدادي" في القرن التاسع عشر، الذي كان له أتباع كثر في العراق، لدرجة أن السلطان العثماني "محمود الثاني" سمع به. وبعد أن اطمأن له، سعى إلى استقطاب أتباعه ليضمن دخولهم في الجيش؛ وحتى أن الدولة العثمانية ساهمت في نشر صيته، وقامت العلاقة بين السلطنة والبغدادي على هذا الأساس مما ساهم في انتشار الطريقة النقشبندية بين الأتراك[٤٧].

سابعاً: معتقدات الصوفية/ التركية والدرزية:

المعتقدات الصوفية:

التصوف منهج في معرفة اللّه، فالزاهد هو المحجم عن متاع الدنيا، والعابد هو مكثر العبادة، أما المتأمل في الخلق والخالق هو الصوفي العارف؛ والمعرفة لديهم تحتاج إلى مرشد وهو شيخ يتبعه مع يريد الوصول إلى معرفة اللّه [٤٨]، وقد تأثرت الصوفية بالكثير من التيارات من قبيل اليهودية والمسيحية والفلسفات الزردشتية والمانوية، وبالديانات الهندية، ومن بين ما تأثرت به في الديانات الهندية فلسفة التأمل والحلول، والتناسخ والفناء، والرياضة الروحية، ووحدة الوجود، وحتى بهيئتهم العامة، والإيمان بالقدرات والمعجزات. وتأثرت بالفلسفة الصينية وخصوصاً الفلسفة "التاوية" التي تتحدث عن ثلاث مراحل شبيهةٌ بالمراحل الصوفية: تطهير النفس، الإشراق، الاتحاد، والفلسفات اليونانية وخصوصاً الأفلاطونية كنظرية الفيض الإلهي، وتأثرت بالديانات الفارسية[٤٩].

---

٤٧. المرجع السابق، ص-ص ١٧٦-٢٤١.

٤٨. مرجع سابق، فتاح، ١٩٩٣، ص-ص ١٤٠-١٤٧.

٤٩. مرجع سابق، الشوبكي، ٢٠٠٢، ص-ص ٢٤-٣٣.

ولدى الصوفيين عموماً مراتب لأوليائهم، وهي:

- الغوث: ولا يوجد إلا واحد في الأرض وهو مُرسل من المغيث "اللّه" لينجد سكان الأرض.
- الأوتاد: وهم أربعة ويثبت اللّه بهم الإيمان، وهم موزعون على جهات الأرض الأربع.
- القطب: وعددهم سبعة أقطاب، وهم أقطاب تحفظ البلاد.
- الأبدال/ البدلاء: وعددهم أربعون، وعددهم ثابت ويتم استبدال المتوفون منهم.
- النجباء: وعددهم ٣٠٠ وهم في بلاد الشام[٥٠].

وللصوفية مصطلحاتٌ تدل على إيمانهم ومنها: الكشف، والفيض الإلهي وهو تجلي اللّه في العقل أو في الواقع، وحدة الوجود، الاتحاد، الحلول، الوقت، المنزلة أو المقام، الحال، القبض والبسط، التواجد والواجد "أي اللّه" والوجّد "من الوجد أي المشاعر"، الفناء والبقاء، الغيبة والحضور "بمعنى فقدان الوعي واستعادته"، المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة، الشريعة والحقيقة، الحقيقة المحمدية[٥١]. وتنطوي الصوفية على التأويل الرمزي للنصوص القرآنية، وهو ما قد يكون مأخوذاً من الأفلاطونية والفلسفة الغنوصية؛ وتقر بوحدة الأديان عموماً، وتواتر النبوة، وأسبقية الروح على البدن[٥٢].

وبالعودة إلى الطرق الثلاثة التي تناولها البحث، نجد أن العقيدة البكتاشية ككل الطرق الصوفية تؤمن بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، لكنها تغالي بمحبة الرسول وآل بيته وخصوصاً علي بن أبي طالب حيث تعطيه مرتبةً سامية تصل إلى التأليه؛ وتؤمن بالتناسخ، ويعتقدون أن القوة الإلهية ظهرت على شكل "العقل الكلي" الذي انبعث منها، ومنه نشأت "النفس الكلية" [٥٣]. وللبكتاشية درجاتٌ: العاشق، ثم الطالب، ثم المحب، ثم الدرويش، ثم درجة البابا، ثم درجة الدده، ثم درجة الدده بابا. يمكن للذكر أن يتبتل للعبادة، ولا يفرق البكتاشيون بين الرجل والمرأة حيث يعتبرون التفريق بينهما عادة بالية[٥٤]. ولكل مقام

---

٥٠. المرجع السابق، ص-ص ٣٤-٣٦.

٥١. المرجع السابق، ص-ص ٣٨-٤٥.

٥٢. مرجع سابق، فتاح، ١٩٩٣، ص-ص ٧٧-١٠٧.

٥٣. اقتربت البكتاشية إلى درجة كبيرة من المعتقد الدرزي بهذه الفكرة، وغالبا تعود هذه الأفكار للفيلسوف اليوناني بروتاغوراس. وكذلك ابن عربي.

٥٤. مرجع سابق، المعبدي، ٢٠٠٨، ص-ص ٨٢-١٠٩.

طريقةٌ معينةٌ لدخوله لدى البكتاشيين، حيث يجب أن يكونوا في منتهى الورع والأدب عند دخولهم إلى التكية أو الضريح أو مقابلة الشيوخ، وعليهم تقبيل يد الشيخ [٥٥]. والبكتاشية خلافاً لأي طريقةٍ صوفيةٍ أخرى متسامحةٌ مع الأديان، حتى أنها تسمح للمغايرين في الدين بالانضمام إلى البكتاشية مع الاحتفاظ بملتهم، أو دينهم؛ وتقدس أضرحة القديسين منهم وتقدم لهم النذر [٥٦]. تعاليمها مُستمدة من تعاليم الشيعة الاثنَي عشرية وتعاليم الطُّرق القَلَنْدَرِيَّة والحَيْدَرِيَّة، ومن معتقدات اجتماعية تسللت لهم من خلال الدِّيانات القديمة التي دخل فيها الترك قبل إسلامهم كالشَّامانيّة والمانَويّة [٥٧].

وتؤمن المولوية أيضا بوحدة الوجود والاتحاد والحلول، ومن طقوسها سماع الموسيقى خلال طقوس الدوران، ورقص السماع، وذكر الأدعية وخصوصاً من كتاب "المثنى" لجلال الدين الرومي. وشعائر التأمل في الوجود والوحدانية والتي تسمى "عين الجمع". وهناك تأثر واضح بالمذهب "العلوي". وتتدرج المراتب حسب المولوية من: الدرويش إلى الشيخ ثم الخليفة. وإن أراد أحد المحبين أن يلتزم بالطريقة المولوية، عليه أن يدخل على حضرة الشيخ ويجري طقوسا معينة، وعندما يرضى الشيخ عن الطالب ويلبسه القلنسوة، تنتهي الطقوس بأن يقبل الشيخ والدرويش أيادي بعضهما في ذات اللحظة! [٥٨] [٥٩] وترمز الرّقصة الدائريّة التي يؤديها الدراويش إلى دورة المجرات في الفضاء الشاسع، وإلى كل ما يتحرك في الطبيعة من كائنات [٦٠].

أما النقشبندية فتَعتبر أن عقيدتهم هي طريق الصحابة الصحيحة، حيث ينسبونها إلى الصحابي أبو بكر الصديق؛ وهم يؤمنون أيضا بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، والرابطة بين المريد وشيخه حيث يمده بالقوة، وذكر اللّه الدائم، وتقديس المشايخ، حيث يعتبروهم عالمون بالغيب، وقادرون على التحكم بالظواهر الطبيعية، وإغاثة الملهوف [٦١]. أساس طريقتهم ما يعرف بالرابطة وتعني ربط قلوبهم باللّه

---

٥٥. المرجع السابق، ص ١١٥.

٥٦. المرجع السابق، ص–ص ٧٨–٨٠.

٥٧. مجمع اللغة العربية، المعجم الكبير، المجلد ٢، مطابع روزر يوسف، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٣٨٨.

٥٨. وهذا التقليد موجود أيضا لدى مشايخ الدروز.

٥٩. مرجع سابق، المعبدي، ٢٠٠٨، ص– ص ١٤١–١٦١.

٦٠. عبد العال، رانيا، المولوية بين الماضي والحاضر، عود الند: مجلية ثقافية فصلية، العدد ١٠٠، https://www.oudnad.net/، تشرين الأول ٢٠١٤.

٦١. مرجع سابق، المعبدي، ٢٠٠٨، ص–ص ١٩١–٢٣٣.

وتعلقها به، فهم يولون وجوههم إلى اللّه تجاه القبلة أينما كانوا، ويقرأون سورة الإخلاص والشرح أولا ثم يبدؤون ذكر اللّه بالقلب أي بلا صوت ولا كلام لأنهم يحبذون الذكر القلبي عن الذكر الجهري؛ ثم يتلون ما تيسر من آي الذكر الحكيم وينشدون بعض الإلهيات وهي نمطٌ من الشعر الديني يناجون فيه المولى عز وجل يؤديها منشدوهم بأداء يهز القلوب ويحرك المشاعر ويقع في النفس موقعاً حسناً غير عازفين بأي من آلات الطرب. وللنفس سبع مراتب في عقيدتهم، حسب تأثرها بالمجاهدات، وهي: الأمارة، اللوامة، المطمئنة، الملهمة، الراضية، المرضية، الكاملة [٦٢].

ويجوز للمرأة في الصوفية أن تكون من أتباعها، بل وأن تكون إمامة شرط التغلب على جسدها؛ ولا يرى الصوفيون مشكلة في عدم الالتزام بالخمار والنقاب وتغطية الوجه للمرأة، بل إنهم يشجعون على عدم ارتداء النقاب. وحجتهم في ذلك كما ورد عن جلال الدين الرومي، أنهم كصوفيون قد تجاوزوا مرحة الافتتان بالنساء حتى لو رأوا وجوههن، بل إنهن سيكونون مشوشين إن مرت إحداهن دون أن يعرفوا من هي [٦٣].

العقيدة الدرزية:

إن الجدل لم ينتهِّ بعدٌ إلى رأي قاطع بين الفرقاء حول هوية الدروز، فالتخبط والحيرة في تحديد معالم هويتهم الدينية لا يزالان قائمينْ إلى اليوم، إذ لم يستطع المتحاورون الإجابة الشافية عن الأسئلة القديمة المتجددة، التي تبرز كلما ذكِّر الدروز والدرزية: هل الدرزية ديانة مستقلة؟، أو هي مذهبٌ إسلاميٌ، شأنها شأن المذاهب الفقهية الإسلامية الأخرى؟، أو هي طريقة من طرق التصوف؟، أم مدرسة فلسفية؟ [٦٤].

العقيدة الدرزية "باطنية" ما ينطق فيها غير ما يفهم منه، وما يظهر منها غير ما في باطنها، وذات طابعٍ فلسفيٍ غنوصيٍ، تستند في أدبياتها وأحكامها على مجموعةٍ من النظريات كنظرية "الحلول والتقمص والتناسخ والتقية والرجعة"، كما أنها تعمد إلى "التأويل الباطني" للنصوص المقدسة، ويمكن القول: إنها خليطٌ من دياناتٍ وفلسفاتٍ مختلفةٍ، إسلاميةٍ ومسيحيةٍ وهندوسيةٍ وإغريقيةٍ [٦٥]، وهي خاصةٌ بالدروز دون

---

٦٢. ويكيبيديا، النقشبندية، https://ar.wikipedia.org/، ٢٥/٧/٢٠٢٠.

٦٣. مرجع سابق، المعبدي، ٢٠٠٨، ص ٣٥٠.

٦٤. مرجع سابق، AL-SARİ, 1/10/2017, P. 248

٦٥. وكلها نقاط تشترك فيها مع مختلف الطرق الصوفية.

غيرهم من الأمم، فلا يجوز لغير الدرزي اعتناقها، وحتى الدرزي من العامة لا يجوز له قراءة كتب العقيدة وأداء شعائرها إلا بعد أن يتخلق بأخلاق الشيوخ، ويسلك مسلك الأجاويد والعُقّال في التعبد والتنسك[٦٦]. ويؤمن الدروز في مذهبهم "بالتجلي الإلهي" والذي يعتبر أحد مراحل "الحلولية"، والتي تعني "حلول الذات الإلهية في صورة بشرية"[٦٧ ٦٨].

تُعتبر الدرزية استمراراً للإسماعيلية، لكنها ابتعدت عن الجانب السياسي ومعاداة العباسيين والعرب، والتفتت إلى الفلسفات والأفكار القديمة. ويعتقد الدروز أن فكرهم هو أرقى فلسفة في "توحيد اللّه"، وتؤكد عقيدتهم بشكل صارم على "وحدانية اللّه"، ولذا يسموا أنفسهم "الموحدون"، ويعتقدوا أن اخوان الصفا، والمدارس الصوفية الإسلامية الأخرى وحتى فلاسفة الهند والإغريق والفرس والفراعنة، هم من أسلافهم الموحدين. لذا يظن الدروز أن دعوتهم كانت موجودة وتتطور من قَبل الإسلام. ويولي الدروز لمدينة "هَجر" البحرينية مكانة قدسية، حتى أنهم يطلقوا صفة "الهَجري" على الشيوخ التقاة، ويعود ذلك لأنهم في المرحلة التي كانوا فيها على علاقةٍ دينيةٍ بالإسماعيلية كان "القرامطة[٦٩]" يتخذوا من مدينة "هَجر" عاصمة لهم؛ وخلال هجرة القبائل الشمالية إثر صراعها مع قبائل الجنوب في جبال لبنان إلى السويداء، انتقل رجل دين تقي كان يحمل لقب الهجري[٧٠]، واليوم هناك مرتبة دينية تعتبر الأعلى دينياً وهي "شيخ العقل الهجري"، والتي أصبحت متوارثةً ضمن العائلة التي كنيت بالهجري نسبة إلى أول شيخ تقي قدم من جبال لبنان إلى السويداء.

يقسم المجتمع الدرزي إلى فئتين: "العقال" أي عقلاء، وهم الشيوخ ويسمح لهم بالاطلاع على الأسرار الدينية، و"الجهال" أي الجاهلون، وهؤلاء لا يسمح لهم بالاطلاع على الأسرار الدينية لكنهم يعتبروا دروزاً، ولا يسمح للدرزي أن يتطلع على الدين قبل أن يبلغ ١٥ عاما، ويجب عليه أن يطلب من الشيوخ ذلك، فيبقوه فترة تحت المراقبة تطول وتقصر حسب سلوك الطالب "المريد"، ومدى التزامه بطريقة حياة

---

٦٦. فؤاد أبي خزام، د. أنور، إسلام الموحدين، المذهب الدرزي في واقعه الإسلامي والفلسفي والتشريعي، دار الفارابي، ط٢، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦، ص ١٣.

٦٧. وهي أيضا نقطة مشتركة مع معظم الطرق الصوفية.

٦٨. مرجع سابق، . AL-SARİ, 1/10/2017, p 261

٦٩. قامت دول القرامطة شرق شبه الجزيرة العربية (البحرين) في القرن التاسع الميلادي واستمرت حتى القرن الحادي عشر. وقد انشقوا عن الإسماعيليين بعد اختلافهم على الإمامة. ولهم مكانة لدى الدروز حتى أنهم ذُكروا في رسائل الحكمة الدينية.

٧٠. مرجع سابق، أوبنهايم، ٢٠٠٩، ص-ص ٥١- ٥٨.

العقال الصارمة، ويبقى كذلك حتى يعتبره أحد الشيوخ أصبح مؤهلا ويدخله في الدين على مسؤوليته[٧١]، ويجوز الأمر على النساء أيضا. يجتمع الدروز عادة في مجالس تسمى "الخلوات" وهي أماكن بعيدة عمرانيا وهادئة ويمكن أن تحفظ السر [٧٢] [٧٣]، وغالباً يجتمعون للعبادة في ليلة الجمعة في مجالسهم، حيث يتذاكرون رسائل الكتب المقدسة ويقرأوها بصوتٍ مسموعٍ وضمن طقسٍ جماعيٍ، ونغمةٍ معينةٍ، ومع تمايل حسب الانسجام الذي يمكن أن يكون متولداً من احساسهم بروح الجماعة أو الاستمتاع بالقراءة[٧٤].

يعطي المذهب الدرزي للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر اللّه منزلة مقدسة "رغم جدلية هذه الشخصية التاريخية"، حيث يعدونه احدى مظاهر التجلي الإلهي[٧٥]؛ ويفسرون حادثة اختفاءه الغريبة، حيث خرج برفقة اثنين من الجند إلى الصحراء للاختلاء كعادته، ولم يعد أو يعثر له على أثر، عام ١٠٢١م؛ ولم يجزم المؤرخون بمصيره؛ حيث يفسرها الدروز بغيبة مؤقتة وسيعود في يوم ما ويملأ الأرض عدلا[٧٦] [٧٧].

وبينما يؤكد الكثير من رجال دين الطائفة الكبار أنها إحدى المذاهب الإسلامية، وحتى أنها تتبع المذهب الشافعي والحنفي، يقول البعض أنها ديانة مستقلة. وتؤكد حياتهم الاجتماعية أنهم لا يتبعون الإسلام في صميم ثقافتهم المجتمعية، بينما لا يقيمون الشعائر الدينية ذاتها، في مقابل أنهم يعتقدون أن الفروض الدينية الإسلامية لمن يريد أن ينفذها وليست مفروضة على الناس[٧٨]. فمفهوم الفرض يعني الإجبار والمُجبر غيرَ مثابٍ وغير معاقبٍ! ولذا فإن العبادة خيار لمن يريدها، ولا تُفرض على أحدٍ. بينما تقوم بعض ملامح عقيدتهم على:

- الصلاة تختلف عن أهل السنة في أدائها، والوضوء في سبيل طهارة الروح وأما النظافة فهي للثوب والجسد.
- الصوم هو صوم الجسد عن كل شهوة والابتعاد عن الخطايا، وهو مفروض عليهم في أيام العشر

---

٧١. وهذا التقليد مشترك مع البكتاشية تحديدا.

٧٢. أيضا هو تقليد مشترك بين مختلف الطرق الصوفية.

٧٣. مرجع سابق، أوبنهايم، ٢٠٠٩، ص-ص ٥٩- ٦٠.

٧٤. يذكرنا هذا الطقس بحلقات الذكر التي يتبعها الصوفيون وما يرافقها من تمايل وانسجام.

٧٥. وهذه أيضا احدى النقاط المشتركة مع الصوفية.

٧٦. وهذه من الأفكار المشتركة ايضا مع الصوفية والاسماعيلية.

٧٧. مرجع سابق، . AL-SARİ, 1/10/2017, p.p 250.254

٧٨. وهم يتفقوا مع الفكر الصوفي بذلك.

قبل عيد الأضحى، ومن يود الصوم في رمضان فأجره مضاعف.

- الزكاة هي الصدقة.
- الحج بمفهومه المادي هو عادةٌ شركيةٌ موجودةٌ قبل الاسلام، وتتنافى مع مفهوم توحيد اللّه حسب معتقدهم، بينما للحج مفهومٌ آخر لديهم.
- لا يوجد تعدد زوجات في الدرزية، والطلاق لا رجوع بعده أبداً.
- شهادة المرأة كشهادة الرجل، وميراث المرأة كميراث الرجل.
- يؤمن الدروز بالتقمص وهو انتقال الروح من جسدٍ إلى جسدٍ آخر بعد الوفاة [٧٩]، حتى يتم اختبار الإنسان في كل حيواته وفي كل الظروف "غني – فقر – معاق – مريض – سليم.." وحين يأتي يوم الحساب يكون الجميع قد خضعوا لذات الاختبار وبالتالي يكون اللّه عادل في حسابه.
- الإنسان مخيرٌ لا مسيّر [٨٠].

بينما تعني فروض العبادة الإسلامية لديهم:

١. الصلاة: وتعني صلة قلوبنا في توحيد اللّه [٨١].
٢. الصيام: وتعني صيانة القلوب بالتوحيد، والصوم عن الكذب وقول المحرمات.
٣. الزكاة: وتعني تزكية القلوب بالتوحيد.
٤. الحج: وتعني الحج إلى بيت اللّه الحرام وبيت اللّه الحرام هنا هو توحيد اللّه.
٥. الجهاد: وتعني الجهد في معرفة وتوحيد اللّه.

يعتبر الدروز أن التعامل بين الناس أهم من العبادات علما أن العبادات محببة لديهم لكن على طريقتهم التوحيدية [٨٢].

---

٧٩. وهم يشتركوا بها مع بعض الطرق الصوفية وخصوصا الفارسية منها.

٨٠. مرجع سابق، . AL-SARİ, 1/10/2017, p-p 255-258

٨١. ويماثلها لدى الصوفية دوام طلب الاتصال باللّه.

٨٢. الشكعة، د. مصطفى، إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، ط ١٢، ١٩٩٧، ص–ص ٣١٠ – ٣١١.

MENA RESEARCH CENTER

مركز أبحاث ودراسات مينا